

التوتر الأميركي الإيراني هل تطاول حممه أفغانستان

طهران لن تجازف بإعطاء الخصم مبررا لاستهدافها بعملية عسكرية واسعة

تلاشى الحديث عن إمكانية نشوب حرب مباشرة بين واشنطن وطهران عقب الرد الإيراني، المدروس بعناية، على مقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني. فالرد كان استهداف قاعدة أميركية في العراق، مهجورة تقريبا، ما دفع الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى الإدلاء بتصريح أشبه بالسخرية "كل شيء على ما يرام". ويعد القادة الإيرانيون جيدا الثمن بالدمر إن جازفوا بتبني عمليات قتل الجنود الأميركيين أو الاستهداف المباشر للحلفاء في المنطقة، لكن الأقل تكلفة ربما تحريك الأذرع في المنطقة خاصة في اليمن أو أفغانستان وهما منطقتان تتمتع فيهما طهران بهامش مناورة أوسع.

كابول - تقديرات استراتيجية المواجهة الإيرانية بنظيرتها لدى كل من روسيا والصين وكوريا الشمالية أيضا إذ تعتمد تجنب المواجهة العسكرية المباشرة والقيام بخطوات عسكرية وأمنية متفرقة ومتباعدة، لمحاولة إحراج الولايات المتحدة وإظهارها بمظهر الضعيف، لكنها لا تترقى إلى درجة إعطاء الخصم مبررا لشن عملية عسكرية واسعة عليها. لن تجازف الرد الإيراني على مقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني حدود الضربات الصاروخية الأخيرة على قاعدة عين الأسد في العراق والتي أعلم بها رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي قبل تنفيذها، ما يثير تساؤلات بشأن جدية هذه الضربات، حيث يعتقد خبراء عسكريون غربيون كذلك أن الإدارة الأميركية بدورها كانت على علم مسبق بها.

لكن الرد الإيراني في اعتقاد مراقبين لن يتجاوز ثلاثة محاور بحكم معادلة النفوذ والتوازنات في المنطقة، فالرد على الجبهة اللبنانية عبر ميليشيا حزب الله غير مرجح بقوة، أما السيناريو الثاني الأكثر ترجيحاً فيكون في اليمن عبر ميليشيات الحوثي، وأما السيناريو الأقوى والأكثر إبلاها للولايات المتحدة فهو في أفغانستان حيث تتكبد القوات الأميركية خسائر جسيمة في الجنود والعتاد.

قد لا يجازف حزب الله في الوقت الراهن بمناوشة إسرائيل، لكن الحوثيين قد يدفعون إلى استهداف المملكة العربية السعودية كما فعلوا من قبل بتبنيهم هجمات أرامكو سبتمبر الماضي وبالتالي إحراج واشنطن المتمسكة بحماية أمن حلفائها في المنطقة.

فاستهداف جماعة الحوثي للسعودية وأمنها غير مستبعد ضمن سيناريوهات الرد الإيراني، لذا وجب التعامل مع هذا الخطر كحقيقة لا كفضيحة ممكنة والاستعداد له بعناية، لكن طهران بالتوازي مع ذلك تعمل على دعم منظمات لا تدور في فلكها لضرب المصالح الأميركية كما فعلت مع طالبان في السبعينات وكما فعلت مع تنظيم القاعدة في نفس الفترة.

أفغانستان في قلب ردود الفعل

الزلزال الذي أحدثته التوتر المتصاعد بين الولايات المتحدة وإيران قد تكون له رجات ارتدادية في أفغانستان يربح خبراء أن تكون -بحكم الجغرافيا وخصوصية العلاقات الثنائية- في مرمى حمم ثوران بركان واشنطن وطهران. وينذر التوتر عقب مقتل سليماني بامتداد محتمل لارتداداته إلى الجارة التي تمتلك فيها إيران تأثيرا قويا سواء على بعض السياسيين أو على أقلية "الهزارة" الشيعية.

وأدى العديد من السياسيين الأفغان بتصريحات عبرها فيها عن حزنهم لمقتل القائد الإيراني، وفي مقدمتهم رئيس المجلس التنفيذي بأفغانستان عبدالله عبد الله، والرئيس الأفغاني السابق حامد كرزاي.

ومن المعروف أن هناك علاقات قوية بين إيران وطالبان في أفغانستان، كما أن الزعيم السابق للحركة المسلحة الملا اختر منصور قتل في غارة جوية أميركية لدى عودته من إيران عام 2016.

والعام الماضي، زار مسؤولون من طالبان إيران في إطار مفاوضات السلام بين الحركة والولايات المتحدة. ويرى الخبير السياسي الأفغاني أحمد سعدي أن إيران لديها نفوذ وتأثير في أفغانستان، سواء على الحكومة أو على حركة طالبان وحتى على الشعب الأفغاني.

ويقول سعدي إن طهران ستحاول استغلال تأثيرها على أفغانستان بطريقة غير مباشرة، بسبب التوتر الأخير مع واشنطن.

ويضيف أن أفغانستان من الدول التي يمكن لإيران أن تستهدف فيها القوات الأميركية حتى لو كان ذلك بطريقة غير مباشرة عقب مقتل قاسم سليماني.

ويشير إلى وجود قواعد عسكرية أميركية ضخمة في أفغانستان، وأن إحداها تقع في مدينة هرات على الحدود الإيرانية.

ويلفت إلى أن الولايات المتحدة تسيطر على المجال الجوي الأفغاني، ولذلك لن تتمكن إيران من محاربة واشنطن بصورة مباشرة في أفغانستان، ولكنها يمكن أن تستهدف القوات الأميركية هناك بطريقة غير مباشرة. ويتابع "أرى أن إيران ستحاول استخدام لواء فاطميون الذي شكله قاسم سليماني من الشباب الأفغان ضد الولايات المتحدة، كما ستحاول استغلال علاقاتها الجيدة مع حركة طالبان، وأرى أن أفغانستان ستقارن بذلك الوضع".

يؤكد أحمد تميم عاصي، مساعد وزير الدفاع الأفغاني السابق للشؤون السياسية والاستراتيجية، أن إيران تدعم بكل الطرق حركة طالبان التي تنشط بالقرب من حدودها.

وقال تميم عاصي إنه في حال اندلاع حرب بين إيران والولايات المتحدة، فإن طالبان المدعومة من طهران يمكن أن تنسحب من اتفاقية السلام التي هي على وشك توقيعها مع واشنطن.

إيران لديها نفوذ وتأثير في أفغانستان، سواء لدى الحكومة أو حركة طالبان وحتى على الشعب الأفغاني

وحذر المسؤول السابق من ازدياد أعمال العنف في الولايات الأفغانية القريبة من الحدود الإيرانية حال توقف مفاوضات السلام بين طالبان وواشنطن. من جهته اعتبر شجاع حسيني محسني، عضو هيئة التدريس في قسم العلوم السياسية بجامعة كابول الأفغانية، أن الأزمة الأخيرة بين إيران والولايات المتحدة خلقت حالة من التوتر والقلق في أفغانستان.

وأوضح محسني أن إيران لديها نفوذ قوي في أفغانستان، وخاصة في المناطق الغربية التي توجد فيها أيضا قاعدة عسكرية أميركية ضخمة. وحذر من أن هذه المنطقة ستشهد توترا كبيرا حال اندلاع حرب بين الولايات المتحدة وإيران، مشيرا إلى وجود حالة من القلق، سائدة في البلاد بين السياسيين وبين أفراد الشعب.

وأضاف أن إيران ستستهدف الولايات المتحدة عبر الحرب بالوكالة وليس بصورة مباشرة.

لواء فاطميون

يعرف أيضا باسم "حزب الله الأفغاني"، تأسس عام 2013 كجزء من فيلق القدس، المسؤول عن العمليات الخارجية بالحرس الثوري الإيراني، ويتكون من ميليشيات معظمها من المهاجرين الأفغان المنتمين إلى أقلية الهزارة الشيعية.

لعب "لواء فاطميون" دورا فعالا في الحرب في سوريا، كما حارب في العراق وإلى جانب الحوثيين في اليمن، ولا يزال القسم الأكبر من عناصره في سوريا، إلا أن بعض عناصره عادت إلى أفغانستان بعد أن مالت كفة الحرب في سوريا لصالح نظام الأسد. ويمكن لإيران استخدام ميليشيا فاطميون في إطار استراتيجية التمدد الشعبي التي تتبناها.

وكثيراً ما تعبر الإدارة الأفغانية عن انزعاجها من استغلال المواطنين الأفغان في حوض الحرب في دولة أخرى وفقاً للأهداف الأيديولوجية الإيرانية. على الرغم من التصريحات شديدة اللهجة من قبل المسؤولين الإيرانيين تعقبها على مقتل سليماني إلا أن ردود الفعل تبدو مدروسة بعناية شديدة ولا تخرج عن الخطوط الحمراء الأميركية للدخول في حرب مباشرة.

وتتكبد القوات الأميركية في أفغانستان خسائر بشرية ومادية جمة ما جعل الرئيس الأميركي دونالد ترامب يفكر بكل جدية في سحب قوات بلاده من مستنقع أفغاني بات الأميركيون يكرهونه.

وجعل ترامب سحب قوات بلاده جزءا هاما من حملته الانتخابية 2020 والتي يطمح فيها إلى تجديد ولايته، فالانسحاب من أفغانستان جزء من حملة انتخابية أضاف إليها سيد البيت الأبيض مؤخرا عملية اغتيال سليماني، لكن طهران قد تسحب منه أو تؤجل ورقة خروجه من أفغانستان كـ"قضية" لانتشائه بمقتل "تعلب إيران".

فهل أسست الولايات المتحدة مبدأ الردع بقتلها قاسم سليماني؟ وهل تدفع طهران حلفاءها في المنطقة إلى شن المزيد من الهجمات على المنشآت والمصالح الأميركية في المنطقة؟ وإذا كانت الإجابة لا، هل تستمر الهجمات التي تستهدف خطتها من هجمات إيران في الوقت الراهن؟ وماذا سيفعل الرئيس ترامب؟

هل انتهت الأزمة؟ قد تكون هذه نهاية حلقة خطيرة، لكن الصراع الإقليمي الضاري سيستمر، وستبقى العداوة الاستراتيجية بين الطرفين. وسيلقي مقتل سليماني بظلاله على العلاقات الأميركية الإيرانية لسنوات عديدة.



هل تقفدي إيران سليماني في أفغانستان

ترامب يتجنب المواجهة المباشرة ولكن إلى حين

في هجوم بطائرة مسيرة أمر بتنفيذه الرئيس. وقال ترامب إنه اتخذ القرار بناء على معلومات استخباراتية بينت أن سليماني كان يخطط لهجمات وشبكة على أهداف أميركية في الشرق الأوسط.

إلا أن أياما مرت دون أن يتمكن ترامب أو مساعده في الأمن القومي، بمن فيهم وزير الخارجية مايك بومبيو ووزير الدفاع مارك إسبر ومستشار الأمن القومي روبرت أوبريان، من تقديم تفاصيل.

ويخشى بعض حلفاء ترامب أن يكون قد أوقع نفسه في مازق بالانداء بان الهجمات كانت وشبكة. وقالوا إن مسؤولية سليماني عن إراقة الدماء من قبل، بما في ذلك دماء الجنود الأميركيين في العراق، ميرر كاف.

وقال مسؤول كبير سابق في الإدارة "مرت خمسة أيام ولم تسمع حتى الآن شيئا عن الخطر الوشيك، هذا معناه أن لديك مشكلة". وأضاف المسؤول "كنت أمل وأتوقع أن أتلقى المزيد من المعلومات التي ترسم الإطار العام للممر القانوني والواقعي والإخلاقي لهذا الهجوم". وقال جمهوريون على صلة وثيقة بالبيت الأبيض إن ترامب كان حائرا بين أمرين في الأسابيع والشهور التي سبقت إصدار الأمر بقتل سليماني. فقد كان تحت ضغط للرد على الاستفزازات الإيرانية في المنطقة لكنه كان عازفا عن استخدام القوة مفضلا مواصلة التركيز على العقوبات الاقتصادية.

ولم يخف ترامب ازدراره بقرار الرئيس الجمهوري جورج دبليو بوش غزو العراق في 2003 ومن ثم كان سببهم بالنفاق لو أن أفعاله وتصريحاته أدت إلى حرب مع طهران. وبدلا من أن تصل الأمور إلى هذا الحد، وجد الجانبان فيما يبدو مخرجا من الطريق المؤدي إلى الحرب، في هجمات إلكترونية.

وفي مثال على كيفية سير الأمور في البيت الأبيض في عهد ترامب ظهرت علامات الفوضى خلال الأسبوع منذ مقتل سليماني في مطار بغداد

رد طهران على مقتل سليماني، وقال رجل الدين الشيعي العراقي مقتدى الصدر إن الأزمة انتهت. وقال ترامب في كلمة مدروسة كانت تمثل اختلافا ملحوظا عن أيام تميزت بالتصريحات الغاضبة ولينة للتحفة "يبدو أن إيران تتراجع وهو أمر جيد لكل الأطراف المعنية وأمر جيد للعالم، مضيافا" الولايات المتحدة لا تحتاج إلى الرد عسكريا على الهجوم الإيراني".

لو أن الهجوم، الذي أكدت إيران إنه رد على قتل سليماني، أسفر عن خسائر في الأرواح لكان ترامب وجد نفسه مضطرا للرد

وإذا استمر الوضع في مسار التهدئة فلن يضطر ترامب إلى الدفاع عن صراع عسكري مع إيران خلال حملة الدعاية لانتخابات نوفمبر الرئاسية وذلك بعد أن قضى سنوات وهو يعيب على من سبقوه من الرؤساء "حروبا لا نهاية لها" في العراق وأفغانستان. وقال الجمهوري نيوت غينغريتش الرئيس السابق لمجلس النواب، وهو من حلفاء الرئيس المقربين، "ترامب كان في غاية الانضباط وفي غاية الصبر بانتظار معرفة ما سيكون عليه ردهم (رد الإيرانيين)". وأضاف "لم يكن بحاجة إلى التصعيد. واعتقد أن ترامب يبدي ضبط النفس".

غير أنه من المرجح أن تخضع نوازع الرئيس لامتحان جديد في الأسابيع المقبلة إذ يحذر مسؤولون أميركيون من أن من المرجح أن ترد إيران بوسائل غير تقليدية كان تستخدم مثلا قوات تعمل لحسابها في استهداف أميركيين أو شن هجمات إلكترونية.

وفي مثال على كيفية سير الأمور في البيت الأبيض في عهد ترامب ظهرت علامات الفوضى خلال الأسبوع منذ مقتل سليماني في مطار بغداد

واشنطن - ربما يكون الرئيس الأميركي دونالد ترامب قد وجد بصعوبة مخرجا من احتمال الزج بالولايات المتحدة في حرب واسعة مع إيران، على الأقل في الوقت الحالي، وذلك بعد أن أمر بقتل أحد كبار القادة العسكريين الإيرانيين وأثار انتقادات في الداخل والخارج.

فعندما انتهت الصواريخ الإيرانية على قواعد تضم قوات أميركية في العراق ليل الثلاثاء انتشر في البيت الأبيض إحساس بالثبوت وظل ترامب ومساعده المختصون بالأمن القومي في حركة دائبة داخلين خارجين من غرفة المتابعة مع توالي التطورات.

ولو أن الهجوم، الذي قالت إيران إنه رد على الضربة الجوية التي قتل فيها قاسم سليماني، أسفر عن خسائر في الأرواح لكان ترامب قد وجد نفسه مضطرا إلى الرد لتصبح إيران والولايات المتحدة طرفي صراع مفتوح بعد سنوات من التوترات المتصاعدة. وقال مساعده ترامب إن الإرتياح بدا عليه بحلول صباح الأربعاء وهو يعد صياغة كلمته التي بثها التلفزيون إذ بدا أنه نقادي أسوا سيناريو ممكن أن يحدث وإن ظل على قلقه من احتمال أن توصل إيران الرد.

وكان وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف قال أثناء الليل إن الضربات الصاروخية "أتمت"

